رؤية عربية لتوحيد المصطلح العلمي وتقييسه*

للأستاذ الدكتور محمد رشاد الحمزاوي

1- مدخل:

إن حـديثي إليكم سـيدور حـــــــــول البحث عن منهج يســــــاعدنا على الفـــــوز بمصـــطلحات عربية موحـــدة مشـــــــتركة في رؤية علمية وثقافية وحضـارية منشـودة، يبـدو أنها صـعبة المنـال، إن أخذنا بعين الاعتبار البلبلة التي تستبد بمصطلحاتنا ومفاهيمها. وهي تتمثل أساسا في تـرادف يـذهب الشِّـرَّة وفي مشـترك لفظي يكـاد يكـون عنوانا عن اشـتراك فكـري وعقلي، وفي معربـــات ودخيلات قد اشـــتد الخلاف في نقلها نقلا صـــوتيا علميا إلى العربية بين مُتَفَرنســـــين ومُتـــــأَمْركين ومُتَرَوِّسين ومتألمِنين من بـني جلدتنا، فضلا عن المتعـاطفين العـربي،والكمـبيوتر والحاسب الآلي، والعقل الإلكـــــتروني ، والمحسب الكهربـــــائي في المشـــرق العـــربي.أما فيما يتعلق بهـــــاردوير، فلقد قيل فيهـا: أجهـزة تحضـير وتحليل البيانـــات _ وأجـــزاء جهـــاز الكمـبيوتر، والأجـزاء الصـلبة لنظـام الكمـبيوتر. وفي هـذا الإطـــار تـــرجم مصـــطلح General linguistics بخمسة وعشـــرين مصـــطلحا. وفي الزيادة خير ونعمة!!

وفي مســــــــتوى نقل أصوات المعربـات والـدخيلات اشـــتد الخلاف بين من يفضل اعتمــــــــــــــاد النطق الأنكلوسكســـوفي عند نقلها إلى العربية ومن يفضل النطق الفرنسي اللاتيني .

ويشـــــهد على ذلك في مستوى الكيف كلمة " تليفون " التي اقترح لها

هـــاتف ، ومِسَـــرَّة ومِقـــوَل، وإرزيز ... إلخ. أما كلمة "كمـــــبيوتر" فهي الرّتابـــــة، والنظامـــــة، والحاســـــوب ، والحســــــوب بـــــالمغرب عـام،اقترحه الامـير مصـطفى الشـهابي، ويتمثل في اختيـار النطق الفرنســــــي.والآخر - يتعلق بنقل الشـهور لاســيما الغربية منها حسب النطق الإنجلـيزي . والأمثلة على تلك البلبلة الصـوتية كثـيرة. فهل نقـــول تيُـــولِيب أو تُـــوليب (tulipe) تعبـيرًا عن الزهـرة

* ألقيت هـذه المحاضـرة في الجلسة الثانية عشـرة من مـؤتمر الـدورة الخامسة والستين يوم الثلاثاء 28 من ذي القعدة سنة 1419هـ الموافق 16 من مارس (آذار) سنة 1999م .

الهولندية الجميلــة؟ وهل تنقل Hydrogenation بـ هدرجة أو درجتة ؟

ولقد بـــذلت المجـــامع ولاســـيما مجمعنا المـــوقر، جهــودًا كبــيرة للفــوز بنظــام صوتي علمي على غرار نظـام كوبنهـاجن الـدولي الصـوتي ، يـــؤمِّن للعربية دقة علميّة عند نقل المصـــطلحات وأســـماء الأماكن والأعلام حسب نطقها عند أهلها.

أما من حيث الكم، فإننا نلاحظ أن كل جهودنا التوحيدية المختلفة لم تـــوفر لنا ســـوى عشـــرات الآلاف المعـدودات من المصـطلحات الـتي نـدعوها بالموحـدة. فلو اكتفينا بما وفره مكتب تنسيق التعــــــريب في مؤتمراته المختلفة لوجـــدنا أنها لا تزيد في أحسن الحـــــالات عن 100.000 مصــــطلح موحد بطـــرق فيها نظـــر، حســبما تفيـدنا بـذلك نشـرته الداخلية لاســـيما نشـــرته المقدمة لمـؤتمر التعـريب بالسـودان. فـــــأين نحن من الملايين المملينة من المصـــطلحات الموحدة الفرنسية والإنجليزية والروسـية. واليابانية ... إلخ؟ . أما مصـــطلحات مجمع اللغة العربية بالقــــاهرة، فإنها لم تُحْصَ إلى يومنا هــذا إحصــاء دقيقا فضلا عن أنها ليست ملزمة للجميـــع. ويـــدل على ذلك الاختلاف في شـــأنها مع مجـــامع دمشق وبغـــداد، والأردن، وبيت الحكمة في تـــونس، والأكاديمية الملكية بالمغرب. ويكفيني تـدليلا على هـــذا الشـــأن ما أشـــار إليه مصـطفى الشـهابي في كتابه " المصطلحات العلمية والفنية في اللغة العربية في القـــديم والحديث " إن هذه المعطيات تـــدعوني إلى أن أبـــدي بعض الملاحظـات المهمة أمنا للبس وتوضـيحا للمواقف من قضـايا مبدئية ومنهجية أساســية منها على وجه الخصوص:

أ) أن الـــــترادف ، والمشـــترك اللفظي؛ والأخذ والعطــاء تمثل مظــاهر لغوية ليست مقصــورة على العربية بل تلحق كل اللغــات لكن مع الفـــارق الـــذي يتمثل في تصـــــوراتنا اللغوية المتعلقة بالتوحيد ومســتلزماته العلمية البحتة.

ب) أن تلك التصـــورات تتمثل في أربع إشـــــكاليات تســتحق أن نعــنى بها قبل أن ندعو إلى التوحيد توحيدًا علميا له أبعـــــــاد تربوية وثقافية وحضارية.

ج) أن المنهج التوحيـــدي الذي نــدعو إليه ، يفــترض في مســتوى المؤسســـات اللغوية والمتخصصـــين، والمجتهـــدين ومنهم الصحافيون، في نطــاق اللغة العربية الفصـــــــــيحة المعاصــرة، ألا نفاضل مســبقا بين مصدر وآخر أو بين وسيلة من وســائل الموضع (مجــاز، اشـــتقاق ، تعـــريب، نحت ، ارتجال) ، لاســيما إذا أردنا أن نصف الســاحة اللغوية بــدون إقصاء أو أحكام مسبقة لصالح هــذا على ذلــك، من شــأنها ألا تســاعدنا على تشـخيص الــداء وتصـــور الــدواء. ولعل أحسن طريقة لمعالجتها أن نعرضـــها كلها على الإشـــكاليات الأربعة المــذكورة نفســها ســابقا قبل اقتراح توحيدها توحيــدًا علميــا. فما هي الإشــكاليات المعنيــة؟ وما هي المبــادئ الــتي اعتمد عليها مشـــــروعنا في التوحيد والتقييس؟

1-2 إشكاليات المصطلح

لقد أفـــــــــاد بها علم المصـــــطلح الحـــــديث في المســـــــتوى النظـــــــري ومصـــــــــطلحاتنا العربية المعاصـــــرة الـــتي وضـــعتها المجـــــامع والمؤسســـــات والمتخصصـــــون في مختلف العلــوم. فلا يمكن أن نتطــرق إلى موضوع توحيد مصطلحاتنا وتقييسها دون إشكاليات أربعة لابد من العناية بها ، وهي تتمثل فيما يلي:

أ) افتقـــــــــاد مدونة مصطلحية عربية تحتــوى على كل الرصـــــــــيد العلمي والمصطلحي العربي المعاصر كَمًّا وكَيْفًا في مختلف العلـــوم ســـــواء بالوضع أو الترجمة أو التعـــريب ، ومفادها أن نـــوفر للمصـــــــطلحى المُوَحِّد وثيقة كاملة شـــاملة مصـــــطلحية مصدراً تعــبر عن آراء ومنــاهج وترجمــات كل المعنــيين بعلم من العلـــــــوم لأجل مقارنتها وموازنتها حسب مقـــــــاييس لغوية وزمانية ومكانية، وحــتى اجتماعية وثقافيّة تســــــاعدنا على اســـــــــتخلاص مختلفها ومشــتركها طمعًا في توحيــدها الاعتمـــاد على قـــوانين عامة وقواعد ترتكز على الغـــــالب والمطـــــــــرد خلافًا للمبـــادرات التوحيدية الرائجة الــتي كثــيرًا ما اعتمــدت على عينـــات جزئية محـــدودة كَمًّا وكَيْفًا وزمانا ومكانا .

ويبـــدو لنا أن بنـــاء هـــذا الرصيد ممكن اليوم لما وفرته لنا المجـــامع والمؤسســـــات العربيــة المتخصصة

المتخصصين العلميين يدعون إلى اعتماد مُخَصَّصِ ابن سيده للاستفادة من مصطلحاته في ميادين الحيوان أو الزراعة أو النّبات ... إلخ دون أن يطبقوا لذلك تطبيقا مبررًا . فلقَد دعا أمين المعلوف في مقدمة " معجم الحيوان " وأحمد عيسى في " معجم النبات" ومصطفى الشهابي في " معجم الألفاظ الزراعية " إلى ضرورة الاستفادة من ذلك الرصيد دون أن يبرهنوا على ذلك؛ إذ لم يأخذ أحد منهم ــ كما بيّنت دراستنا في هذا الشَأن ــ أكثر من ثمانية مصطلحات من المُخَصَّص . فما هي أسباب ذلك ؟ أهو قصور القديم عن أداء الحديث أم غبن المحدثين لرصيد القديم مع التغنى به للتبرؤ من تهمة التفريط فيه لا سيما وأن رصيده لم يستقرأ استقراء عميقا وجديا في مدونات جامعة شاملة استعيض عنها بغنائيات لا تسمن ولا تغنى من جوع ، في ما نحن فيه من حاجة إلى توظيف في ذلك الرصيد التراثي توظيفًا منهجيا كميا وكيفيا يستعان به في معركة التوحيد والتقييس .

جـ) الخلط بين اللفظ أو الكلمة العادية (word) والمصطلح (term) العلمي أو الفني أو التكنولوجي . فالأول ينتسب إلى اللغة العامة والثاني إلى علم المصطلح؛ مما يترتب عنه أن الأول يدخل في إطار العلامة اللسانية العامة والثاني يندرج في نطاق العلامة المصْطَلحية . ومن ذلك أن اللغة أو الكلمة علامة لسانية مركزة على دال ومدلول (مبنى ومعنى) لا صلة بينهما، وينشأ منهما المفهُوم . ويعبر عن ذلك بما يلي :

العلامة اللسانية العامة :

الـدال (1) اللفظ (1) لف (1)

المـدلول(2) المفهـوم(2) مف (2)

وكثـيرا ما تكـون الصـلة بين الدال والمـدلول اعتباطية فليس بالضرورة أن يكـون كل صالح صـالحًا. فلو كـان الاسم تعبـيرًا عن المسـمى لكـان لنا اسم واحد للفرس أو الفيل ... إلخ في كل اللغات .

أما المصطلح فهو خلاف ذلك لا سيما في معادلته الـتي هي كما يلي:

العلامة اللسـانية المصـطلحية =

المـــدلول(1) المفهـــوم(1) مف (1)

الـــــدال(2) اللفظ (2) لف (2)

فـــــالمفهوم ســــابق للفظ المســمى به لأن المصـــطلح صلح وتصالح بين متخصصين . فالصــــلة بينهما مقصـــودة معيارية مختـــــــارة، وينشأ مفهومها من طبيعة الشـــيء ووظيفته مما يـــترتب عنه أن يكـون لكل مفهـوم مصـطلح واحد لا تشــــــويش فيه إلا بمقـــدار ضـــئيل . فـــالترادف يكـــون مســـتحيلا إذا كـــان المفهوم المصـطلحي مـأخوذًا مثلا من اسم مخترعه مثل كلمه كيلـومرتز وخوارزمية ... وعلى هـــذا الأســـاس لابد أن يتفرد بوضع المصطلح العلمي أهل الذكربه والمتخصصـون لا الأدبـاء والمعجميـون ومن لف لفهم .

د) وحـــدة المصـــطلح مطلوبة لكن ليس في كل الحـــالات . فوحـــدة المصـــطلح لا تعـــني بالضـــرورة وحدانيته لأنه يوجد من العلـــوم مـــالا يقتصر على مصـطلح مفـرد . وذلك شـأن المصـــــطلحات الكيميائية أو التكنولوجية الـــتي كثـــيرا ما تتكون من عنصرين فأكثر إلى حد عشرة عناصـر، إذا أسـقط واحد منها اســـتحال معناها . ومثـــال ذلك : ثنـــائي الأكســـيد يكـــون مصـــطلحا واحـــدًا لو أسـقط أحـدهما لانتفى معـنى هــذا الجسم الكيميــائي وذلك شــــــــــأن : integrated orthographic

(وهو : المـــــــدقق الإملائي المنــدمج) corrector وعلى هــذا الأســاس لا يمكن التقيد بصـــفة مطلقة بما تـــدعو إليه المجـــــامع العربية من وضع مصـطلح واحد لمفهـوم واحد حتى تتحقق وحـدة المصـطلح العـــربي . ولـــذلك يكـــون المصـطلح مفـردة في علـوم معينة كما يمكن أن يكون قالبا

أو نســـــقا متكونًا من عناصر متعـــددة في التكنولوجيا على وجه الخصوص وفروعها .
نستخلص من كل ما ذكرنا من الإشـكالات الرئيسـية الأربــعة السـابقة أن توحيد المصـطلح يستلزم طرح تصورات ومناهج تؤسس لمبــادئ وحدتــه؛ لأنها تكـــون شـــرط لـــزوم يمهد لتوحيــــده وتقييسه اللـــذين يعتـبران شـرط كفايته .فكيف يكون التوحيد؟ .

مبادئ التوحيد : التقييس

نبْـــدأ هـــذا المبـــدأ بثلاث ملاحظات مهمة:
أولهــا: أن التوحيد المنشــود يتطلب مدونة شـــاملة كاملة تحتــوى على كل مصــطلحات علم من العلـــــوم بمفرداتها العربية أو الدخيلة المعاصـــرة دون إقصاء أو حكم مسبق .
ثانيها :اعتماد هـذا المشـروع في التوحيد المطبق على المصــطلحات المفــردة لأنها الغالبـــة؛ ولأن ما يطبق عليها صــــالح لأن يطبق على غيرها من المصـــــطلحات الثنائية أو المتعددة العناصر .
ثالثهــا: لا يـدخل في مقاربتنا هـــــــذه أمثلة مطبقة لتوحيد نظـام صـوتي لنقل المعربـات والـدخيلات الـتي يمكن أن نطبق عليها المبــادئ نفســها الآتي ذكرهــا.فما هي مبــادئ التوحيد المنشـــــودة [*] ؟ إنها أربعـة: لغوية وصـرفية ونحوية ورياضــــية توليدية تتمثل فيما يلي :

المقاييس الكمية للتقييس .

أ-الاطـراد أو الشـيوع : يقـاس المصــطلح المقــترح باعتبــار المصــادر والمراجع الــتي تؤيد المصــطلح الواحد وتحتج لــه. ولقد حصـــــــرناها في خمسة مصــــادر على أقل تقـــدير . فيختـــــار اللفظ الأغلب ورودًا فيها . كما تـــــــدل على ذلك اللوحة التالية حيث يســـند له درجة تنازلية بحسب تنـــــازل المصادر المؤيدة له :

ب ـــ يسر التــداول : يقــاس على أساس الحروف الأصــول في العربية الــتي تـتركب منها المصـــــطلحات . فيختــــــار المصطلح الأقل حروفًا أصلية

(*) لقد اعتمد مكتب تنسيق التعريب طريقة في توحيد المصطلح ترتكز أساسا على المصطلح الأكثر شيوعًا عند أهل الذكر في الأقطار العربية وذلك لا يكفى .

وذلك حسب درجة تنازلية كذلك :

الدرجة المسندة
10
8
6
4
2

وذلك لأسباب صرفية ورياضية.والكلمات الغالبة في العربية لا ثنائية ولا رباعية ولا خماسية بل ثلاثية؛ لأن الثلاثي متمكن في العربية، كما قال سيبويه في " الكتاب " ولأن قانون زيف(loi de zipf) يفيد بأن شيوع اللفظ على عكس طوله . ولقد أثبتنا كل الحروف الأصول للمصطلح الواحد، على قلة ورود بعضها (15 كلمة ثنائية في القرآن) حتى يبرر دور الكلمات الثلاثية التي تحتل مكانة تكاد تكون مثلى حسبما يشهد بذلك الدرجة المخصصة لها في اللوحة السابقة .

اللوحة التالية :

فهي تخضع لمبدأ رياضي مفاده أن قوة ملاءمة المصطلح على عكس توسعه إلى ميادين عديدة. فتسند أعلى درجة للمصطلح الذي يقتصر استعماله على ميدان واحد .

د) التوليد اللغوي : تضبط بحسب المشتقات التي تتولد من المصطلح الواحد . فيختار المصطلح الذي تشتق منه صيغ أكثر من غيره كما تشهد بذلك اللوحة التالية :

والملاحظ أن اختيار المصطلح يكون حسب درجة تصاعدية متصلة بعدد المشتقات التي يمكن توليدها منه.

فالخلاصة من هذه المبادئ الكمية للتقييس والمبررة لسانيًّا ورياضيا هو أنها تضبط لأول مرة ضبطا مرقما الفصاحة في مستوى المفردات والمصطلحات فضلاً عن أنها تضبط مقاييسها الكمية التي يمكن الاحتجاج لها لغويًّا ولسانيًّا.

أنواع المشتقات	الدرجة المسندة	أنواع المشتقات	الدرجة المسندة
10 مشتقات فأكثر	10	5 مشتقات	5
9 مشتقات	9	4 مشتقات	4
8 مشتقات	8	3 مشتقات	3
7 مشتقات	7	مشتقات	2
6 مشتقات	6	مشتق	1

4–1 التقييس المطبق:

يجد القارئ في اللوحة التالية مثالاً مطبقًا من التقييس مأخوذًا من العرْبيز. فلقد قسنا لترجمات كلمة telephone من الفرنسية والإنجليزية إلى العربية وهي ترجمات واردة في المصادر والمراجع العربية الموثقة على جذاذة المصطلح.

المعنى:

الرقم	الترجمات	الاطراد	المعالجة	الحوافز	الملاءمة	المجموع
1	تليفون	9	6	6	9	30
2	هاتف	9	8	8	9	34
3	مسرة	1	3	6	1	11
4	مقول	1	3	6	1	11
5	إرزيز	1	2	6	1	10
6	ساعة كبريت	1	1	1	1	4
7	ساعة حديثة بالسلك	1	1	1	1	4
8	آلة تكلم على بعد	1	1	1	1	4
9	آلة متكلمة	1		1	1	4
10	تلغراف ناطق	1	1	1	1	4

إن المصطلح الفصيح الفائز في العربية هو " هاتف " يليه " تليفون " باعتبار مجموع الدرجات المتقاربة المسندة لهما. وبالتالي يمكن في بعض الحالات اعتماد لفظ ثان مرادف إذا يسرت درجته عالية ويترك للاستعمال الاختيار النهائي بينهما . فهل يمكن لنا أن نوفق إلى جزء من المقترحات الواردة في المحاور الثلاثة السابقة؟

وهل يكتب لنا يومًا أن نتفق ونطبق هــذه المنهجية العربية التقييســية المقترحة أو غيرها إن كــانت أحسن منهــا؟ . إن الأمر مربـــــوط بعزيمتنا على اختيار الأصـلح وإنجـازه حسب مخطط معقـــــول، نرجو أن يكـون له صـدى في توصـياتنا وقراراتنا .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمد رشاد الحمزاوي

عضو المجمع المراسل من تونس